

ما زال فلان في قيد الحياة/ ما زال حياً لا: لا زال فلان على قيد الحياة/ لا زال حياً! القيد- قيد كذا

د. مكّي الحسني (*)

أولاً: تدخل (ما) النافية على الفعلين الماضي والمضارع فيقال: ما زال، ما يزال، فيُبدل بهما على الإثبات وعلى الاستمرار، نحو: ما زال/ ما يزال الجوّ بارداً. وتدخل (لا) النافية على المضارع^(١)، نحو: لا يزال الجوّ بارداً، ولا تدخل على الماضي لإفادة النفي، فلا يقال: (لا جاء فلان) بل (ما جاء فلان)، ولا يقال (لا زال الجوّ بارداً) بل (لا يزال الجوّ بارداً)!

ولكن تستعمل (لا) مع الماضي لتكرار النفي، نحو: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة: ٣١]، أو لتفيد الدعاء (بالخير أو بالشر) لا النفي!! نحو: لا سمح الله؛ لا قدر الله؛ لا أراك الله مكروهاً؛ لا عدمتك، لا زال بيتك عامراً؛ لا فضّ فؤك.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) الفرق بين نفي المضارع بـ (لا) ونفيه بـ (ما)، أنه إذا نُفي بها، تحلّص عند الجمهور للحال، كما في المُعني.

قال المالمقي في (رصف المباني): «واعلم أن (لا) هذه التي للدعاء، يجوز أن تدخل على الماضي، ويكون معناه إذ ذاك الاستقبال، فيقال: لا غفر الله لزيد ولا رَحْمَةً...»

ينسب إلى الإمام الشافعي قوله في الوعد:

يا واعد الوعد ليس يُنجزه أف لمن لا يُتمُّ ما وعدا
أف لمن لا يزال صاحبه في تعبٍ من عذابه أبدا
أكلَّ طول الزمان أنت إذا جئتك في حاجة تقول غدا؟
لا جعلَ الله لي إليك ولا عندك ما عشت حاجة أبدا

ثانياً: جاء في معاجم اللغة (ق ي د):

- ١ - قاده يَقِيْدُهُ قَيْدًا: قَيْدُهُ تَقْيِيدٌ: جَعَلَ الْقَيْدَ فِي رِجْلِهِ^(٢).
 - ٢ - الْقَيْدُ: حَبْلٌ وَنَحْوُهُ يُجْعَلُ فِي رِجْلِ الدَّابَّةِ وَغَيْرِهَا فَيُمْسِكُهَا.
 - ٣ - الْكَبْلُ: الْقَيْدُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ.
 - ٤ - يُقَالُ لِلْفَرَسِ الْجَوَادِ: قَيْدُ الْأَوَابِدِ: أَي سَرِيعِ الْعَدْوِ، فَيُدْرِكُ الْوَحْشَ وَيَمْنَعُهَا الشَّرَادَ كَمَا يَمْنَعُهَا الْقَيْدُ، فَتُصَادُ!
- قال امرؤ القيس:

وقد أغتدي والطير في وُكْنَاتِهَا بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هِيكَل

(٢) إن ظاهرة «قلب الكلام عن وجهه» وردت في كلام العرب، وهي مفهومة من سياق الكلام، ويُضرب لها المثل: أدخلت الخاتم في إصبعي.

ومن الواضح أن المقصود هو إدخال الإصبع في الخاتم، وجعل الرجل في القيد. وهذه التراكيب الثابتة المسموعة لا يقاس عليها، فقد سُمع قولهم: (خرق الثوب المسمار) بنصب المسمار؛ ولكن لا يجوز أن نقول مثلاً: خرق القماش الإبرة!). وفي التنزيل العزيز: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْخَلَ فِيْ أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سبأ: ٣٣].

[المنجرد: الفرس السريع العَدْوِ]

٥- يقال: فرسٌ قيْدٌ: ذَلُولٌ مُنقاد!

فالقيـد إذن مصدرٌ، واسم ذات، وصِفة.

٦- يقال: رَسَفَ في القيـدِ رَسْفًا ورَسْفَانًا: مشى فيه رويداً.

واستعمل القيـد على المجاز:

١- جاء في الأدب الكبير والأدب الصغير، لابن المقفّع (١٤٢هـ):

«حاز الخيرَ رَجُلان: سعيدٌ ومَرَجُوٌّ: فالسعيدُ الفالِحُ، والمرجوُّ مَنْ لم

يَخْصَمَ، والفالِحُ الصالِحُ مادام في قيـد الحياة!». .

لم يقل: على قيـد الحياة!

الفالِحُ: الفائز (لسان العرب)، والظافر.

مَنْ لم يَخْصَمَ: لم يكن شديد الخصومة.

٢- وقال أبو العلاء المعري (٤٤٩هـ):

أراني في قيـد الحياة مُكَلَّفًا ثَقائِلَ أمشي تحتها وأطابِقُ

٣- وجاء في دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي (٤٦٧هـ):

... وهو بعدُ في قيـد الحياة...

٤- وجاء في وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان لابن خلكان (٦٨١هـ):

... واستوصاه خيراً في نفسه ما دام في قيـد الحياة.

٥- وجاء في البحر المحيط لأبي حيّان النحوي (٧٤٥هـ):

... لأنه ما دام المرء في قيـد الحياة لا يقطع أنه صائرٌ إلى الجنة...

٦- وجاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري (٨٠٨هـ):

... فأمر له الرشيد بألفي دينار، وقال: هي لك مِنّا ما دُمنا في قيـد الحياة.

٧- وجاء في «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حَجَر العسقلاني (٨٥٢هـ):

... وكانت والدته إذ ذاك في قيد الحياة...

٨- وجاء في «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي (٨٧٤هـ):

... وهي إلى الآن في قيد الحياة...

٩- وجاء في «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة» للمُجَبِّي (١١١١هـ):

قسماً بوجهك وهو شمسٌ أشرقتُ وبما بفيك من الرضابِ المُسكِرِ
لا حُلْتُ عن مُرِّ الهوى ما دمتُ في قيد الحياة ولو بُعثتُ لمُحَسَّرِ
١٠- وقال ابن مطروح:

لا أرعوي لا أنتهي لا أنثني عن حُبِّهِ فَلْيَهْدِ فِيهِ مَنْ هَدَى
والله ما خَطَرَ السُّلُوبِ خَاطِرِي مادمتُ في قيد الحياة ولا إذا!
[أي ولا إذا مُتُّ!].

نلاحظ أن جميع الكتب التراثية المذكورة - وغيرها كثير - أوردت العبارة (في قيد الحياة)، ولم يرد فيها العبارة الشائعة (على قيد الحياة).

أما التعبير القرآني عن هذا المعنى فهو: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

حاشية:

قد يتساءل بعضهم: ألا يصح أن يقال: الكتابُ الفلاني هو قيد الطبع؟
بنصب (قيد) على نزع الخافض (في). والجواب عند جمهور النحاة هو أن نزع

- الخافض سماعي! (جامع الدروس العربية، ٣/ ١٩٦).
 ومن الشائع استعمال (قَيْدَ) مُضَافَةً ومنصوبة: فيقولون:
 ١- هذه المقترحات هي الآن قَيْدَ الدراسة.
 ٢- وُضعت هذه التعليقات قَيْدَ التنفيذ.
 ٣- هذه القِطْع المصممة حديثاً هي الآن قَيْدَ التصنيع.
 ٤- بقي الاتفاق المذكور قَيْدَ الكتمان.
 والوجه أن يقال:

- ١- هذه المقترحات هي الآن في مرحلة الدراسة. أو: هذه المقترحات تُدرس الآن.
 ٢- وُضعت هذه التعليقات مَوْضِعَ التنفيذ.
 ٣- هذه القِطْع هي الآن في مرحلة التصنيع.
 ٤- بقي الاتفاق المذكور طَيَّ الكتمان/ في طَيِّ الكتمان.
 [سُمع نَزْعُ الخافض قبل: طَيَّ، خلالَ، ثَنِي، أثناء، ضَمَنَ، وَفُق، دَرَجَ،
 حَسَبَ...]. ■

* * *

